

عهد الولاة في بلاد الأندلس

المدرس المساعد : زينب عباس سعيد

zainabsaeed@uomustansiriyah.edu.iq

بعودة القائدين - موسى بن نصير وطارق بن زياد - يبدأ في الأندلس ما يعرف بعهد الولاة (٩٥ ١٣٨ هـ = ٧١٤ - ٧٥٥ م) ، الذي استمر حتى وصول عبد الرحمن الداخل (الأول) ابن معاوية بن هشام، وما ترتب بعده . استغرق عهد الولاة حوالي ٤٢ سنة ، تولى حكم الأندلس خلالها - بعد موسى وطارق - عشرون والياً، حكم اثنان منهم مرتين ، هما : عبد الرحمن الغافقي وعبد الملك بن قطن .

يمثل عهد الولاة في الأندلس التحول والانتقال إلى حياة جديدة خيرة ، فيها التنور والامتداد في الغروس الثابتة النيرة . وهو هدف أصيل ومهمة تهدف الانسان : تنظيفاً وتنقية وإعلاءً وتكرمة ، في كل ميدان . ليحدث ازدهار الشجرة الطيبة التي تؤتي أكلها يانعة : لونا سامي السميت ، غزير الانتاج ، فريد المثال . هبة الله وهدايته : نوراً مضياً في عالم الإنسان .

ترددت الأندلس - في ارتباطها الإداري - بين ولاية الشمال الإفريقي والإشراف المباشر لمركز الخلافة . وحين كانت الأندلس تتبع الشمال الإفريقي ، يقوم الوالي الإفريقي بتعيين ولاة الأندلس ، مثل : الحر بن عبد الرحمن الثقفي (ذو الحجة ٩٧ - رمضان ١٠٠ هـ) وعنبسة بن سحيم الكلبى (صفر ١٠٣ - شعبان اتبعت الأندلس منذ أيام واليها الحر ، ثم عادت تابعة للخلافة أيام الخليفة عمر بن عبد العزيز (صفر ٩٩ - رجب ١٠١ هـ) للاسراع في الانجاز والإشراف عليه، فعين السمح بن مالك والياً عليها (رمضان ١٠٠ - ذو الحجة ١٠٢ هـ) لكنها عادت تابعة لإفريقية في ولاية عنبسة حتى استشهد جنوبي فرنسا (شعبان 107 هـ وفي ولايتي : عقبة بن الحجاج السلولي (شوال ١١٦ - ١٢١ هـ) وأبي الخطار (رجب ١٢٥ - ١٢٨ هـ) كانت الأندلس تابعة لولاية الشمال الإفريقي. وهكذا ترددت تبعية الأندلس بين الإشراف المباشر للخلافة عليها وبواسطة ولاية

الشمال الإفريقي، حسب حاجة الأندلس والأحوال في داخلها أو خارجها .. اقتضى أحياناً تعيين سريع وعدم الانتظار ، فيتفق أهل الأندلس على أحدهم حتى يأتي غيره ويؤيد الخليفة أو الوالي الإفريقي هذا . كما حدث : بعد مقتل عبد العزيز ابن موسى ، إذ عين أهل الأندلس أيوب بن حبيب اللخمي (رجب ٩٧ - ذو الحجة ٩٧ هـ) كذا عند استشهاد السمح (ذو الحجة ١٠٢ هـ) ، حيث اتفق على تعيين الغافقي (ولايته الأولى) ، وولاية يحيى وحذيفة، وعقبة. وفي هذه الحال يكتب به إلى والي الشمال الإفريقي، لإقراره أو تعيين غيره . كانت الأندلس أكثر مدة الولاة - تابعة لولاية إفريقية . واتخذت إشبيلية في بداية هذا العهد قاعدة ، ثم انتقلت إلى قرطبة . واجهت عصر الولاة - تلو الفتح - مهمات ضخمة ، وبجانب إتمام الفتح وإقراره مواكبة التبدل الذي طرأ على الأندلس بانتشار الإسلام فيه . فعلى الولاة وبقية المسؤولين وعموم المسلمين خدمة هذا الهدف الأصيل في داخل الأندلس أولاً ، وتهيئة متطلباته بين الناس وفي الحياة من تعميم وتنظيم . نعرف ما جرى من تبدل ونقدته حينما ننظر مقتضيات تبدل جانبي في ناحية ما في العصر الحاضر ، فكيف إذا كان التبدل أساسياً ويخص كيان الإنسان ؟ لا تقدم المصادر المتوفرة معلومات كافية عن ذلك كله اضطلع ولاة الأندلس بواجب آخر ، هو الاستمرار على رعاية المد الإسلامي والسير به عبر جبال البرت (وراءها) ، مجاهدين . إستشهد العديد منهم هناك لإعلاء كلمة الله تعالى . لهذا السبب - ولغيره - ما كان يطول حكم الوالي الأندلسي ، فأورث ذلك بعض الارتباك ومعه فقد تمتعت الأندلس بسنوات من الاستقرار، مملوءة بالإنجازات . في حين وجدت سنوات غيرها افتقد فيها قدر من الاستقرار المنشود . قام - لوقت - نزاع بين بعض القبائل أو الجماعات ، حينما كانت سلطة قبلية لزعامة ذي عروق جاهلية . أثارت هذه النزعة أحياناً للاتكاء عليها في سلطانها . ه وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين. لكن هذا النزاع كان يزول بسرعة حين تذهب تلك الظروف . حدث نزاع خلال ولاية عبد الملك بن قطن الثانية (صفر ١٢٣ - ذو القعدة) وبلج بن بشر (ذو القعدة ١٢٣ - شوال ١٢٤ هـ) اللذين قد ما بعصبة من خارج الأندلس ، حين كانت الدولة الأموية - في أواخر أيامها - يهتز سلطانها . وتولى كبر هذا الأمر أبو الخطار والصميل. كان لهذه النزاعات أثر على حال الأندلس وعلى جهادها وراء البرت ، وإذا كان لاستدعاء موسى وطارق والجند وإيقاف الفتح أثر في عدم إتمامه وتثبيتته في

الجزيرة الأندلسية ؛ فإن أثر هذه النزاعات بدا على استمرار المد خلف البرت ، وهو ذو أثر على حال الجزيرة. لعل لبعء الأندلس عن مركز الخلافة صلة بذلك . فكان مهماً جعلها تحت إشراف الشمال الإفريقي . عدا ذلك ، فقد سارت الأمور - عموماً - في طريقها . عند زوال هذه الحال تعود روح الجهاد وترتفع قوة المد الإسلامي ويزداد الوضع ازدهاراً.

لم يتوقف الجهاد في الجزيرة الأندلسية لإتمام ما كان على موسى إتمامه . وبذل لذلك الولاة - لاسيما عبد العزيز - جهوداً واضحة . ثم ساروا بالمد إلى ما وراء البرت. انتقال ميدان الجهاد إلى الأرض الكبيرة - على سبيل الفتح الثابت والمستقر - يشير إلى منهج مرسوم ، وهي هناك خطوة جهادية أخرى جديدة . بفضل الجهود الأصبيلة والسياسة الحكيمة استمر حال الجزيرة بالتحسن ، الذي تلا فتحها . دخل أهل البلاد في الإسلام ، بعد أن احتكوا بالمسلمين في مجال يظهر ، ولا يبقى منه كامن . لكننا فقراء إلى معلومات وصفية واضحة وإلى معرفة مقدار مساهمة مسلمي الجزيرة في هذا الجهاد . وإن كان يفهم ضمناً ومما سبق من تاريخ الفتح المناطق أخرى سبقت أو لحقت . دام جهاد المسلمين وراء البرت باهراً خلال الثلثين الأولين من هذا العهد شارك فيه عدد من الولاة ، لاسيما السمع بن مالك الخولاني (١٠٢ هـ) وعنبسة ابن سحيم الكلي (١٠٧ هـ) والغافقي في ولايته الثانية (١١٤ هـ) وعقبة بن الحجاج السلوي (١٢١ هـ) . استشهد هؤلاء الأربعة مجاهدين خلف البرت والظاهر أن السماح أول من بدأ بهذا الجهاد ، ولا بد أنه فعل ذلك بعد مشاورة الخليفة عمر بن عبد العزيز وهذا أمر لا نملك عنه خبراً ولا إشارة . معقول أن تكون ولاية الأندلس - طول العهد - على صلة بتلك المناطق ، حتى حين يتوقف الجهاد هناك . إذ أنه توفر للمسلمين فيها استقرار ما . بل وأقاموا هناك سلطة أو حكومة في ولاية سبتمانية ، كانت أربونة مركزاً أو قاعدة . تركوا هناك حاميات لا تخلو من نشاط خارج سبتمانية . وغير بعيد أن يكون قد أسلم الكثير من أهل تلك البلاد . لكن ذهاب سلطان المسلمين عنها أوقف امتداده والإبقاء عليه بسهولة ، خلال الزمن . وهو أمر حدث كذلك في شمالي إسبانيا وفي الأندلس كافة ، بعد إزالة سلطان المسلمين السياسي بسقوط غرناطة سنة ٨٩٧ هـ (١٤٩٢ م) . تلاه العمل على إزالة وجودهم البشري ومحاربة العقيدة الإسلامية بكل وسيلة ، لا يؤبه لنوعها وحدتها وكذا القضاء على ما تبقى بعد ذلك من الفكر الإسلامي متمثلاً بشكل قوي في مؤلفاتهم - وإزالة عمرانهم ، معتبراً في آثارهم . لكن ، ألم يكن التأكد من فتح الأندلس وإزالة جيوب القوط في شمالي الجزيرة أولى من توجيه المد خلف البرت ، جيوب كانت نواة دويلات ثم دولة إسبانيا ؟ أم أن هذه كانت بسبب عوامل داخلية للأندلس وخارجية ، كان منها انقطاع الأندلس سياسياً عن بقية العالم الإسلامي ، فحرمه ذلك المدد الدائم وصدد درعه الواقى ؟ وقد استثارت عزلة الأندلس وإحاطتها بالعدو تعجب القزويني (٦٠٠ - ٦٨٢ هـ) في آثار البلاد وأخبار العباد - أو من نقل عنهم - حول بقاء و المملكة الإسلامية بالأندلس مع إحاطة الفرنج من جميع الجوانب والبحر بينهما وبين المدد من المسلمين. فالانقطاع عن العالم الإسلامي يقلل المدد ويدع البلد وحده محاطاً بمن يكون من الأعداء حوله مع أن العالم الإسلامي - ممثلاً في دوله القريبة ، التي شابته حاله أحياناً - لم يبخل بشيء لحماية الأندلس ، ذهبت هي الأخرى قبل ذهابه فكانت له نذراً وكان هو بعدها يتيماً حسيماً .

كان عهد الولاة غنياً بالجهود لإقرار الحال بعد تبديلها واستتباب الأمور . إذ تم تعديلها ، مع الإستمرار بالفتح في الجزيرة وما وراء البرت . بجانب ذلك تمت الإصلاحات الضرورية والتنظيمات ومراقبة التبدل الاجتماعي وما أنجز في جوانب الحياة ، بدخول الناس في الإسلام وما ترتب عليه . كان العهد بداية لنشأة العلوم الجديدة المتنوعة التي نضحت ثمارها على مراحل . فوجد في العهد إنتاج وأعلام في أكثر من ميدان ، وفي ميدان تكريم الانسان واعتلاء مكانته ، أو قل فصول ولادته وحقيقة وجوده . وسيتسع هنا الكلام عن عدد من الموضوعات التي تختص بهذا العهد ، بعد أن أشير إليها وألقي ضوءاً عليه.